شرح الأربعين النووية

الحديث الثاني

مراتب الدِّين وأشراط الساعة

الجزء الثاني

اللقاء الرابع

الحديث الثاني: مراتب الدِّين الإسلامي وأشراط الساعة

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ أَيضاً قَال: " بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوْسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ –ﷺ– ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيْدُ بَيَاضِ الثِّيَاب شَدِيْدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النبي –ﷺ– فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –ﷺ–:الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيْمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اِسْتَطَعتَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِيْمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآَخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسئُوْلُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قَالَ: فَأَخْبِرْنِيْ عَنْ أَمَارَاتِها، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرى الْحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُوْنَ فِي البُنْيَانِ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُوله أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيْلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِيْنَكُمْ". رواه مسلم

📂وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لا يدخل العبد في الإسلام إلا بهما ولا يخرج العبد من الإسلام إلا إذا جاء بشيء يناقض هاتين الشهادتين، إما بجحود، أو باستكبار، أو بإنكار أو حتى بالتلفظ بالكفر بهما والعياذ بالله.

📁والشهادة الأولى: بها يعرف المعبود عز وجل، والشهادة الثانية: بها يعرف الطريق الذي يوصل إلى المعبود عز وجل.

❍الشهادة الأولى: توحيد المعبود الذي ما خلق الخلق والسماء والأرض والجنة والنار وأنزل الكتب وأرسل الرسل إلا ليعبده الخلق وحده لا شريك له: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون) [الذاريات: 56] هذا هو الأصل الأول.

❍والشهادة الثانية: تبين الطريق الصحيح الذي يوصلك إلى مرضاة المعبود الحق سبحانه وتعالى، ولا يمكن أبدا أن تصل إلى مرضاة الله إلا عن طريق محمد ابن عبد الله، فلو أخلصت العمل ولو أخلصت النية ولو أخلصت القصد والهدف وقمت لتؤدي عملا من أعمال الطاعات على غير منهج رسول الله فإن العمل كله وإن كنت مخلصا مردود على رأسك، لا قبول له عند الله عز وجل، لأن الله لا يقبل منك عملا إلا بشرطين: الأول أن تكون مخلصا والثاني أن تكون متبعا، لا تأتي بجديد من عند نفسك أبدا، تتبع ولا تبتدع.

📣وأركان الإسلام مبنية على قسمين: قولية وعملية.

✉فالقولية: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ: أي: لا إله حق إلا الله عزّ وجل، وهناك آلهة لكنها آلهة باطلة ليست آلهة حقّة، وليس لها من حق الألوهية شيء، ويدل لذلك قوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ) [الحج:62]

📝حقيقة التوحيد: في النفي والاثبات.

لا إله إلا الله فيها نفي واثبات، (لا إله) نفي (إلا الله) إثبات

❁يجب نفي للأنداد، نفي للأرباب، نفي للطواغيت، نفي للآلهة.

❁وإثبات تثبت توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات.

✉شهادة أن لا إله إلا الله تستلزم إخلاص العبادة لله، ويسمى هذا النوع من التوحيد توحيد الألوهية، ويسمّى توحيد العبادة، لأن معنى لا إله إلا الله أي لا معبود حقّ إلا الله، إذا لا تعبد غير الله، فمن قال: لا إله إلا الله وعبد غير الله فهو كاذب، إذْ إن هذه الشهادة تستلزم إخلاص العبادة لله عزّ وجل وطرد الرياء والفخر وما أشبه ذلك.

❁ومن مقتضيات التوحيد أن تُحَكم شريعة الله سبحانه، لأن الله عز: وجل يقول (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ) [الأنعام: 57]، ليس لمجلس الشورى ولا للبيت الأبيض ولا للبيت الأحمر ولا للبيت الأسود، قال –تعالى–:(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) والظالمون والفاسقون.

" وَتُقِيْمَ الصَّلاَة " أي تأتي بها قويمة، ولا تكون قويمة إلا بفعل شروطها وأركانها وواجباتها – وهذا لا بد منه – وبمكملاتها، تكون أكمل.

وقوله: " الصَّلاَة " يشمل كل الصلاة: الفريضة والنافلة.

✉وتقيم الصلاة أي تأتي بها قويمة، ظاهرا وباطنا، بفعل شروطها وأركانها وواجباتها، وهذه الإقامة الظاهرة، والخضوع والخشوع وحضور القلب، وهذه الإقامة الباطنة.

✉الصَّلاةُ أعظمُ أركانِ الإسلامِ العَمليَّةِ، ولها أهمِّيَّتُها الخاصَّةُ في الشَّرعِ، وفيها مِن الرُّوحانيَّاتِ والصِّلةِ باللهِ ما يَجْعَلُ القلبَ يَرْتاحُ ويَخْرُجُ مِنْ متاعبِ الدُّنيا إلى مَعِيَّةِ ملك الملوك سُبْحانَه، ومُناجاته، وراحةٍ للرُّوحِ والقَلْب.

✉ولعلوِّ شأنِ الصلاة وكبير ثوابها فقد كُلِّف بها هو وأمَّته عند سدرة المنتهى؛ ولم تُخصَّ فريضةٌ غيرها بهذه المنزلة.

قال –ﷺ–: "أولُ ما يحاسبُ بهِ العبدُ يومَ القيامةِ الصَّلاةُ، فإنْ صَلَحَتْ، صَلَحَ سائِرُ عَمَلِه، وإنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سائِرُ عَمَلِه". صحيح الترغيب

وفيه عن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله –ﷺ– يقول: "إنَّ بيْنَ الرَّجُلِ وبيْنَ الشِّرْكِ والْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاةِ". رواه مسلم

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما "عن النَّبِيِّ –ﷺ– أنَّهُ ذَكرَ الصَّلاةَ يومًا فقالَ: من حافَظَ عليها كانت لَه نورًا وبُرهانًا ونجاةً إلى يومِ القيامةِ ومن لَم يُحافِظ عليها لم يَكن لَه نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ وَكانَ يومَ القيامةِ معَ فرعونَ وَهامانَ وأبَيِّ بنِ خلفٍ "رواه أحمد وصححه الالباني

✉أكثر ما نجهله إقامة الصلاة الباطنة، سجود القلب، وهو أهم من سجود البدن لأن عليه يترتب قبول الصلاة: وهو الإذعان التام لله الملك، والخضوع المطلق للإله الحق المبين.

✉متى يسجد القلب عندما يعرف العبد قدره ويتذكر أصل خلقته " أنه من نطفة " وأن ختام حياته " تحلّل في تراب " حينها يسجد القلب، وحين يتأمل العبد في عظمة الخالق، ذو الجلال والكمال والجمال، الأول ليس قبله شيء، والاخر ليس بعده شيء، والظاهر ليس فوقه شيء، والباطن ليس دونه شيء، أحاط بالخلائق، في برهم وجوهم وبحرهم وفضائهم، إحاطة في أدق التفاصيل، أسرارهم وأعمالهم وأقوالهم وخطراتهم ونواياهم ومستقبلهم وماضيهم، عندها يسجد القلب.

✉الصلاة ليست مجرد إقامة أقوال وأعمال ظاهرة من قيام وقعود وركوع وسجود، إنما الصلاة كما قيل صلة بين العبد وربه، إنما الصلاة خشوع وخضوع بين يدي الله العلي العظيم، وهذا المطلوب الإقامة الباطنة، وعلى قدر هذا الخشوع والخضوع يكون نصيب الإنسان من صلاته، قال –ﷺ–: " إنَّ الرَّجلَ لينصرِفُ، وما كُتِبَ لَه إلَّا عُشرُ صلاتِهِ تُسعُها ثُمنُها سُبعُها سُدسُها خُمسُها رُبعُها ثُلثُها، نِصفُها " صححه الألباني

قال –ﷺ:" إن الرجل ليُصلي ستين سنة وما تُقبَل له صلاة لعله يتم الركوع، ولا يتم السجود، ويتم السجود ولا يتم الركوع"صحيح الترغيب

📁نماذج ممن كانت تخشع وتسجد قلوبهم في الصلاة:

❁كان ابن الزبير إذا قام في الصلاة فكأنه عود من الخشوع، وكان يسجد فتنزل العصافير على ظهره، لا تحسبه إلا جذعاً أو حائطاً أو خشبة منصوبة لا تتحرك، ولما وقعت الأكلة في رجل عروة بن الزبير احتاج الأطباء إلى قطعها حتى لا ينتشر المرض في بقية جسده، فقالوا له: ألا نسقيك مُرقداً حتى يذهب عقلك منه فلا تحسُّ بألم النشر؟ فقال: لا والله، ولكن إن كنتم لا بد فاعلين فاقطعوها وأنا في الصلاة، فإني لا أحسُّ بذلك، ولا أشعر به، فقام الأطباء بقطع رجله وهو يصلي فما تضوّر ولا صاح ولا اختلج.

❁كان الإمام البخاري رحمه الله يصلي ذات ليلة، فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى الصلاة قال: "انظروا كم آذاني".

📁قال أهل العلم: الصلاة، مجلبة للرزق، حافظة للصحة دافعة للأذى، طاردة للأدواء، مقوية للقلب، مبيضة للوجه، مفرحة للنفس، مذهبة للكسل، منشطة للجوارح، ممدة للقوى، شارحة للصدر، مغذية للروح، منورة للقلب، حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة، مبعدة من الشيطان، مقربة من الرحمن.

" وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ " تؤتي بمعنى تعطي، والزكاة هي: المال الواجب في الأموال الزكوية، فيعطيه الإنسان مستحقه تعبداً لله تعالى ورجاء لثوابه.

✉وقد بيّن الله تعالى أهل الزكاة في سورة التوبة أنهم ثمانية أصناف فقال تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة:60]، أي فرضها الله علينا أن نعطيها هؤلاء ولا نعطي غيرهم

📁هَدف الزكاة بالنسبة للمزكّي:

1-الزكاة تُطَهر صاحبها من الشُّح وتُحرّرُه من عُبوديَّة المال، وهذان مَرضان من أَخطر الأمراض النَّفسية التي يَنحطُّ معها الإنسان ويشقى، ولذلك قال تعالى:(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِه فأولئك هُمُ المُفلِحُون) [سورة الحشر: 9]، وقال -ﷺ-: "تَعِسَ عَبدُ الدِّرهَم، تَعِسَ عبد القَطيفَة..." رواه البخاري.

2-الزَّكاة تدريبٌ على الإنفاق في سَبيلِ الله، وقد ذَكر الله تعالى الإنفاق في سَبيل الله على أنَّه صفةٌ ملازمة للمتَّقين في سرّائهم وضَرّائهم، في سِرّهم وعَلَنهم، وَقَرنها بالإيمان بالغيب والاستغفار بالأَسحار، والصَّبر والصدق، والقُنوت، ولا يَستطيع الإنسان الوصول إلى الإنفاق الواسع في سَبيل الله، إلاّ بعد أن يعتادَ أداء الزكاة، وهي الحدّ الأَدنى الواجب إنفاقه.

3-والزَّكاة شكرٌ لنعمة الله، وعلاجٌ للقلب من حُبِّ الدنيا، وتزكية للنفس، قال -تعالى-:(خُذْ من أموالِهم صَدَقةً تُطَهِّرهُم وتُزَكِّيهم بها...) [التوبة: 103]، كما أنّها تزكية للمال نَفسه ونماءٌ له، قال -تعالى-: (وما أَنفَقْتُم مِن شَيْءٍ فهُوَ يُخلِفه وهو خَير الرَّازقين) [سبأ: 39].

حكم جاحِد الزَّكاة كافر: اتَّفق العُلماء أنَّ مَن أَنكر الزَّكاة وجَحد وُجوبَها، فقد كَفر وخَرج من الإسلام. قال الإمام النَّووي عن المُسلم الذي يَعرف وجوبَ الزَّكاة ثم يجحدها: صارَ بِجَحْدِها كافراً، وجَرت عليه أَحكامُ المرتَدّين من الاستِتَابة والقَتل؛ لأنَّ وجوب الزَّكاة مَعلوم من الدِّين بالضَّرورة.

" وَتَصُوْمَ رَمَضَانَ " بأن تمسك عن المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس تعبداً لله تعالى.

ينبغي للصائم أن يكون صومه صوماً حسياً وصوماً معنوياً، الصوم الحسي عن المفطرات، والصوم المعنوي عن المنكرات، أن يمسك عن المنكرات في حال صومه، وأن يقوم بالواجبات لأن هذه هي الحكمة من وجوب الصوم كما قال الله عز وجل: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة:183]، وقال النبي -ﷺ-:"مَن لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَلَ به، فليسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ في أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ". صحيح بخاري

حكم الصيام صوم شهر رمضان المبارك واجبٌ على كلّ مسلمٍ، وهو ركنٌ من أركان الإسلام، وقد فرضه الله -تعالى- على المسلمين في السنة الثانية للهجرة، وكان فرضه في شهر شعبان، وقد ثبتت فرضيّته في الكتاب، والسنة، والإجماع.

والمفطرات أيضاً معروفة لا حاجة إلى ذكرها، ولكن ننبّه على شيء مهم فيها:

أن المفطرات لا تفطر الصائم إلا بثلاثة شروط:

1- أن يكون عالماً.

2- أن يكون ذاكراً.

3- أن يكون مريداً.

" وَتَحُجَّ البَيْتَ " أي تقصد لأداء المناسك في وقت مخصوص تعبداً لله تعالى.

وَتَحُجّ البَيْتَ أي تقصده. شرعا: هو التعبد لله بقصد مكة لأداء عبادة الطواف والسعي والوقوف بعرفة وسائر المناسك، في وقت مخصوص تعبّداً لله تعالى.

حكمه: ركن من أركان الإسلام بالكتاب والسنة والإجماع.

وهل يدخل في ذلك العمرة أو لا؟ فيه خلاف بين العلماء: والصحيح أن العمرة دون الحج، أي ليست من أركان الإسلام لكنها واجبة يأثم الإنسان بتركها إذا تمت شروط الوجوب.

" إِنِ اِسْتَطَعتَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً " مأخوذ من قوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) قد يقول قائل: هذا الشرط ف جميع العبادات لقول الله تعالى :(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)

فلماذا خص الحج؟ نقول: خص الحج لأن الغالب فيه المشقة والتعب وعدم القدرة، فلذلك نص عليه وإلا فجميع العبادات لا بد فيها من الاستطاعة.

" قَالَ: صَدَقْتَ " أي أخبرت بالحق، والقائل هو جبريل عليه السلام.

" فَعجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ " ووجه العجب أن السائل عادة يكون جاهلاً، والمصدق يكون عالماً فكيف يجتمع هذا وهذا.

" قَالَ: فَأَخْبِرنِيْ عَنِ الإِيْمَانِ" قال: أي جبريل، فأخبرني: أي يا محمد عن الإيمان؟

والإيمان في اللغة: هو الإقرار بالقلب والاعتراف المستلزم للقبول والإذعان وهو مطابق للشرع.

الإيمان في اللغة: هو التصديق، ومن ذلك قول الله تعالى حكاية عن إخوة يوسف عليه السلام لما أخبروا أباهم يعقوب عليه السلام بأن الذئب أكل أخاهم، فقالوا بعد ذلك: (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) [يوسف:17] أي: بمصدق لنا، فالإيمان في اللغة: التصديق.

اصطلاحا: "الإيمان قولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، وعَقْدٌ بالجَنَان"، والمقصود بالأركان: الجوارح، والجَنان هو: القلب، فيكون الإيمان: اعتقاد وقول وعمل؛ اعتقاد بالقلْب، وقوْل باللِّسان، وعمَل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وقولنا: الإيمان المستلزم للقبول والإذعان احترازاً مما لو أقر لكن بدون أن يكون لديه قبول وإذعان، فهذا ليس بإيمان، بدليل أن المشركين مؤمنون بوجود الله ومؤمنون بأن الله هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، المدبر للأمور، وكذلك أيضًا فإن الواحد منهم قد يقر برسالة النبي –ﷺ– ولا يكون مؤمنًا، فهذا أبو طالب عم النبي –ﷺ– كان يقرُّ بأن النبي –ﷺ– صادق وأن دينه حق يقول:

وَلَقَد عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ *** مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ البَرِيَّةِ دِينَا

لَولا المَلامَةُ أَو حِذاري سُبَّةً*** لَوَجَدتَني سَمحاً بِذاكَ مُبينا

فهذا إقرار بأن دين الرسول –ﷺ– حق، لكن لم ينفعه ذلك؛ لأنه لم يقبله ولم يذعن له فكان – والعياذ بالله – بعد شفاعة النبي –ﷺ– في ضحضاح من نار، وعليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه – نسأل الله تعالى أن يعافينا وإياكم من النار – وهو أهون الناس عذابًا لكنه يرى أنه أشدهم.

بل لا بد من الاعتراف المستلزم للقبول والإذعان، ولقد عجبت أيما عجب حينما صعد جاجارين الروسي إلى الفضاء، وقال بعد أن صعد الفضاء ورأى وشاهد الآيات العظيمة، قال: إن لهذا الكون مدبرًا، ومع ذلك فلم يؤمن.

ولذلك يخطئ خطأً كبيراً من يقول: إن أهل الكتاب مؤمنون بالله، وكيف يكون ذلك وهم لم يقبلوا شرع الله ولم يذعنوا له، فاليهود والنصارى حين بعث رسول الله كفروا به وليسوا بمسلمين ودينهم دين باطل، ومن اعتقد أن دينهم صحيح مساوٍ لدين الإسلام فهو كافر خارج عن الإسلام فالإيمان قبولٌ وإذعانٌ. ابن عثيمين رحمه الله.

قَالَ-ﷺ-: " أَنْ تُؤمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِه، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَومِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ "

هذه ستة أشياء:

" أَنْ تُؤمِنَ بِالله " الإيمان بالله يتضمن أربعة أشياء:

❶الأول: الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى.

فمن أنكر الله تعالى فليس بمؤمن، ومع ذلك لا يمكن أن يوجد أحد ينكر وجود الله تعالى بقرارة نفسه، حتى فرعون الذي قال لموسى: ما رب العالمين؟ كان مقرّاً بالله، قال له موسى: (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ) [الاسراء:102]، لكنه جاحد، كما قال الله تعالى: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً) [النمل: 14].

وجوب الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى، والدليل على وجوده العقل، والحس، والفطرة، والشرع.

أولًا: الدليل العقلي: فالدليل العقلي على وجود الله – عز وجل – أن نقول: هذا الكون الذي أمامنا ونشاهده على هذا النظام البديع الذي لا يمكن أن يضطرب ولا يتصادم ولا يسقط بعضه بعضًا، بل هو في غاية ما يكون من النظام، كما قال الله تعالى:(لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) [يس:40]

ويذكر عن أبي حنيفة – رحمه الله – وكان معروفًا بالذكاء أنه جاءه قوم دهريون يقولون له: أثبت لنا وجود الله فقال: دعوني أفكر، ثم قال لهم: إني أفكر في سفينة أرست في ميناء دجلة وعليها حمل فنزل الحمل بدون حمال، وانصرفت السفينة بدون قائد، فقالوا: كيف تقول مثل ذلك الكلام فإن ذلك لا يعقل ولا يمكن أن نصدقه؟ فقال: إذا كنتم لا تصدقون بها فكيف تصدقون بهذه الشمس، والقمر، والنجوم، والسماء، والأرض ، كيف يمكن أن تصدقوا أنها وجدت بدون موجد ؟ وقد أشار الله تعالى إلى هذا الدليل العقلي بقوله: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) [الطور:35]

وسئل أعرابي فقيل له: بم عرفت ربك؟ والأعرابي لا يعرف إلا ما كان أمامه فقال: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على السميع البصير؟ بلى.

ثانيًا: الدليل الحسي: فهو ما نشاهده من إجابة الدعاء مثلًا فالإنسان يدعو الله ويقول: يا الله فيجيب الله دعاءه ويكشف سوءه ويحصل له المطلوب وهو إنما قال: يا الله إذن هناك رب سمع دعاءه، وأجابه، وما أكثر ما نقرأ نحن المسلمين في كتاب الله أنه استجاب لأنبياء الله: (وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ...) [الأنبياء:76] ، (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ)[الأنبياء:83] والآيات في هذه كثيرة والواقع يشهد بهذا.

ثالثًا : الدليل الفطري : فإن الإنسان بطبيعته إذا أصابه الضر قال : (يا الله) حتى إننا حدثنا أن بعض الكفار الموجودين الملحدين إذا أصابه الشيء المهلك بغتة يقول على فلتات لسانه :(يا الله) من غير أن يشعر ؛ والله أخبرنا بذلك: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)[العنكبوت:65]، لأن فطرة الإنسان تدله على وجود الرب – عز وجل – ،(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا...)[الأعراف:162]

رابعًا: الدليل الشرعي: وأما الأدلة الشرعية فحدث ولا حرج، كل الشرع إذا تأمله الإنسان علم أن الذي أنزله وشرعه هو الرب – عز وجل – قال الله تعالى :(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) [النساء: 82]، فائتلاف القرآن وعدم تناقضه وتصديق بعضه بعضًا كل ذلك يدل على أن القرآن نزل من عند الله – عز وجل.

❷الثاني: الإيمان بانفراده بالرّبوبية، أي تؤمن بأنه وحده الرّب، والرب هو الخالق المالك المدبر.
إفراد الله بأفعاله، أي أننا نعتقد أن الله منفرد بالخلق والملك والتدبير، والرزق، والإحياء، والإماتة.
ومعنى (الرب): أي الخالق، والمالك، والمدبر، فهذا معنى ربوبية الله – عز وجل –، فهو الخالق الذي أوجد الأشياء من عدم (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...) [فاطر:1]، قال سبحانه :(ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) [المؤمنون:14]
فالذي أوجد الكون من العدم هو الله الخالق، وفي الحديث عن النبي –ﷺ– قال: «يقال للمصورين: " أحْيُوا ما خَلَقْتُمْ».
المالك أي خلق الخلق وانفرد بملكه له كما انفرد بخلقه له، تأمل قول الله تعالى في سورة الفاتحة: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) الملك، السلطة والسيطرة، كذلك أيضًا منفرد بالتدبير، فهو المدبر لجميع الأمور وهذا بإقرار المشركين، فإنهم إذا سئلوا من يدبر الأمور؟ فسيقولون: الله. فهو المنفرد بالتدبير: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ...) [السجدة:5].

❸الثالث: إيمان بانفراده بالألوهية، وأنه وحده الذي لا إله إلا هو لا شريك له، فمن ادعى أن مع الله إلهاً يُعبد فإنه لم يؤمن بالله، فلابد أن تؤمن بانفراده بالألوهية، وإلا فما آمنت به.

وتسمى توحيد الألوهية والعبادة: وهو توحيد الله بأفعال العباد، أي أنّ العباد يجب عليهم أن يتوجهوا بأفعالهم إلى الله سبحانه فلا يشركون معه أحداً، قال تعالى:(فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: 110].

فلا يجوز صرف شيء من أنواع العبادة كالدعاء والصلاة والاستعانة والتوكل والخوف والرجاء والذبح والنذر ونحوها إلا للهِ وحده دون سواه.

لو أن أحدًا آمن بوجود الله، وآمن بربوبية الله، ولكنه يعبد مع الله غيره فلا يكون مؤمنًا بالله حتى يفرده سبحانه بالألوهية.

❹الرابع: أن نؤمن بالأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل، فمن حرّف آيات الصفات أو أحاديث الصفات فإنه لم يحقق الإيمان بالله.

وعلى هذا فجميع المبتدعة في الأسماء والصفات، المخالفين لما عليه السلف الصالح ، ولم يحققوا الإيمان بالله، والذي فاتهم من الأمور الأربعة هو الرابع : الإيمان بأسماء الله وصفاته ، ولم يحققوا الإيمان به ، ولا نقول : إنهم غير مؤمنين ، فهم مؤمنون لا شك، لكنهم لم يحققوا الإيمان بالله ، وهم مخطئون مخالفون لطريق السلف ، وطريقتهم ضلال بلا شكّ ، ولكن لا يحكم على صاحبه بالضلال حتى تقوم عليه الحجة، فإذا قامت عليه الحجة ، وأصر على خطئه وضلاله ، كان مبتدعاً فيما خالف فيه من الحق ، وإن كان سلفيّ على وجه الإطلاق ، بل يوصف بأنه سلفي فيما وافق السلف ، مبتدع فيما خالفهم .

أن نثبت ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات من غير تمثيل، ولا تكييف قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا)، والنصوص في هذا المعنى كثيرة

ومن مسائل الأسماء والصفات التي حصل فيها خلاف معنى حديث: قال-ﷺ-:" خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ علَى صُورَتِهِ ". صحيح البخاري، وجوابنا على هذا أن نقول: لو أعطيت النصوص حقها لقلت خلق الله آدم على صورة الله، لكن ليس كمثل الله شيء.

فإن قال قائل: اضربوا لنا مثلاً نقتنع به، أن الشيء يكون على صورة الشيء وليس مماثلاً له والجواب نقول: ثبت عن النبي -ﷺ-:"إنَّ أوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ علَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ علَى أشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ إضَاءَةً". صحيح البخاري

فهل أنت تعتقد أن هؤلاء الذين يدخلون الجنة على صورة القمر من كل وجه أو تعتقد أنهم على صورة البشر لكن في الوضاءة والحسن والجمال واستدارة الوجه وما أشبه ذلك على صورة القمر، لا من كل وجه.

يقول آخرون في قول الله تعالى: (وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [الزمر: 67]

فيشير بيده قابضاً لها على شيء – أعوذ بالله – والآخرون يقولون: قبضته أي تحت تصرفه، والفرق بينهما عظيم.

قال –ﷺ–:" يَطْوِي اللهُ السماواتِ يومَ القيامةِ، ثم يَأْخُذُهُنَّ بيدِه اليُمْنَى، ثم يقولُ: أنا المَلِكُ أين الجَبَّارُونَ؟ أين المُتَكَبِّرُونَ؟ ثم يَطْوِي الْأَرَضِينَ، ثم يَأْخُذُهن بشمالِه، ثم يقولُ: أنا المَلِكُ أين الجَبَّارُونَ؟ أين المُتَكَبِّرُونَ". صحيح الجامع

فعلى كل حال، أكرر: احذروا باب الصفات أن تخوضوا في شيءٍ لم يتكلم فيه السلف الصالح، يقول بعض العلماء: من لم يسعه ما وسع الصحابة والتابعين فلا وسّع الله عليه.

وقوله: " وَمَلَائِكَتِه " بدأ بالملائكة قبل الرسل والكتب لأنهم عالم غيبي، أما الرسل والكتب فعالم محسوس، فالملائكة لا يظهرون بالحس إلا بإذن الله تعالى، وقد خلق الله الملائكة من نورٍ، كما ثبت عن النبي –ﷺ– وهم لا يحتاجون إلى أكل وشرب، ولهذا قيل إنهم صمدٌ أي ليس لهم أجواف، فلا يحتاجون إلى أكل ولا شرب، فنؤمن إن هناك عالماً غيبياً هم الملائكة.

وهم أصناف، ووظائفهم أيضاً حسب حكمة الله تعالى كالبشر أصناف ووظائفهم أصناف.

وهنا مسألة: هل الملائكة أجسام، أم عقول، أم قوى؟

والجواب: الملائكة أجسام بلا شك، كما قال الله عزّ وجل:(جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ) [فاطر: 1] وقال النبي –ﷺ–: " إنّي أرَى ما لا ترَونَ وأسمعُ ما لا تسمَعون، أَطَتْ السماءُ وحق لها أن تَئِطَّ؛ ما فيها موضِعُ أربعِ أصابِعَ إلا ومَلَكٌ واضِعٌ جبهَتَهُ لله ساجدًا" سنن الترمذي

ويدل لهذا حديث جبريل عليه السلام: أنه له ستمائة جناح قد سد الأفق، والأدلة على هذا كثيرة.

وأما من قال: إنهم أرواح لا أجسام لهم، فقوله منكر وضلال، وأشد منه نكارةً من قال: إن الملائكة كناية عن قوى الخير التي في نفس الإنسان، والشياطين كناية عن قوى الشر، فهذا من أبطل الأقوال.

الصفات الخَلقية:

❶خلقهم الله تعالى من نور.

❷خلقهم الله تعالى بخلق عظيم لا يمكن لأحد أن يتصوّره، وذلك من حيث الجمال والقوّة، كما أنّ لهم أجنحة متعدّدة، تختلف في عددها من ملاك لآخر، فجبريل عليه السلام له ستمائة جناح، كما أنهم متفاوتون في الطول، أمّا ملائكة النار فهم غلاظ شداد.

❸ ميزهم الله تعالى بالقدرة على التشكّل، والظهور بصورة تختلف عن هيئتهم التي خلقوا بها، ولم يرهم أحد بصورتهم الحقيقية إلا رسول الله -ﷺ-.

❹ خلقهم الله تعالى قبل آدم عليه السلام.

❺جعل الله تعالى منازلهم ومساكنهم في السماء، وهم ينزلون إلى الأرض تنفيذاً لأوامره.

❻لا يأكلون ولا يشربون، ولا يتناكحون، ولا يتعبون، ولا يملون.

❼ لم يتمّ وصفهم بالذكورة أو الأنوثة.

❽لا يعلم عددهم إلا الله تعالى.

❾ ليس للبشر القدرة على رؤيتهم.

الصفات الخُلقيّة:

❶ عباد مكرمون: فهم سفراء الله تعالى إلى رسله، وهم كرام بررة كما وصفهم القرآن الكريم، قال تعالى: (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ، كِرَامٍ بَرَرَةٍ) [سورة عبس:15،16]، فإن أخلاقهم وأفعالهم طاهرة كاملة.

❷الحياء: عن عبد الله بن عباس عن رسول الله -ﷺ- قال: (ألا أستَحْيي ممَّن تستَحْيي منه الملائكةُ إنَّ الملائكةَ لتستَحْيي من عثمانَ).

❸ الطاعة: فهم لا يعصون الله تعالى، وينفّذون كلّ أوامره.

والإيمان بالملائكة يتضمّن:

أولاً: الإيمان بأسماء من علمنا أسماءهم، أن نؤمن بأن هناك ملَكاً اسمه كذا مثل جبريل.

ثانياً: أن نؤمن بما لهم من أعمال، مثلاً: جبريل: موكل بالوحي، ينزل به من عند الله إلى رسله.

وميكائيل: موكل بالقطر أي المطر، والنبات أي نبات الأرض.

وإسرافيل: موكل بالنفخ في الصور.

هؤلاء الثلاثة كان النبي -ﷺ- يذكرهم عندما يستفتح صلاة الليل فيقول:(اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيْلَ وَمِيْكَائِيْلَ وَإِسْرَافِيْلَ)، والحكمة من هذا: أن كل واحد منهم موكل بحياة: فجبريل موكل بالوحي وهو حياة القلوب كما قال عزّ وجل: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا)[الشورى: 52]

وميكائيل موكل بالقطر والنبات وهو حياة الأرض، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور وهو حياة الناس الحياة الأبدية.

والمناسبة ظاهرة، لأنك إذا قمت من النوم فقد بعثت من موت كما قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ) [الأنعام: 60]، وقال عزّ وجل: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّى) [الزمر: 42]

إذا كان القيام من الليل بعثاً وهؤلاء الملائكة الثلاثة الكرام كلهم موكلون بحياة، صارت المناسبة واضحة.

كذلك يجب الإيمان بما لبعض الملائكة من أعمال خاصة، فمثلاً: هناك ملائكة وظائفهم أن يكتبوا أعمال العباد، قال الله عزّ وجل أيضاً في آية أخرى:(كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ*وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كراما كاتبين) [الأنفطار:9-11] يكتبون كل قول يقوله الإنسان.

قال الله عزّ وجل: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق: 18]

فرقيب وعتيد ملكان حاضران شاهدان اللذين يسجلان أعمال العباد، فهؤلاء موكلون بكتابة أعمال بني آدم.

ومن الملائكة من هم موكلون بالسياحة في الأرض يلتمسون حِلَق الذّكر والعلم فإذا وجدوها جلسوا.

ومنهم ملائكة موكلون بحفظ بني آدم، (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ)، فهو بين أربعة أملاك بالنهار وأربعة آخرين بالليل. تفسير ابن كثير

ومنهم ملائكة موكلون بقبض روح بني آدم.

ومنهم ملائكة موكلون بسؤال الميت في قبره.

ومنهم ملائكة موكلون بتلقّي المؤمنين يوم القيامة:(وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ) [الانبياء: 103]

ومنهم ملائكة موكلون بتحية أهل الجنة كما قال تعالى في كتابه: (وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ) (الرعد:23-24)

ومنهم ملائكة يعبدون الله عزّ وجل ليلاً ونهاراً، كما قال سبحانه وتعالى: (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ) (الانبياء:20) قال النبي -ﷺ-: "أَطَّتِ السَّماءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا مِنْ مَوْضِعِ أَرْبَعِ أَصَابِعِ مِنْهَا إِلاَّ وَفِيْهِ مَلَكٌ قَائِمٌ لِلَّهِ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ". صححه الالباني

وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ:"إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ، أَطَّتِ السَّماءُ، وحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ واضِعٌ جَبْهَتَهُ ساجِدًا للهِ تَعَالى". رواه الترمذي

فعن قتادة وَالبَيْتِ المَعْمُورِ ذكر لنا أن نبيّ الله -ﷺ- قال يوما لأصحابه: «هَلْ تَدْرُونَ ما البَيْتُ المَعْمُورُ» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنّهُ مَسْجِدٌ فِي السّماءِ تَحْتَهُ الكَعْبَةُ لَوْ خَرّ لخَرّ عَلَيْها، أوْ عَلَيْهِ، يُصلّي فِيهِ كُلّ يَوْمٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلكٍ إذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِرَ ما عَلَيْهِمْ» السلسلة الصحيحة

" وَكُتُبِهِ " جمع كتاب بمعنى: مكتوب، وسمي كتاباً لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ، وفي الصحف التي بأيدي الملائكة، وفي الصحف التي بأيدينا.

والمراد بها الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله لأنه ما من رسول إلا أنزل الله عليه كتاباً كما قال -تعالى-: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ) وقال -تعالى-: عن نوح وإبراهيم : (وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ) واعلم أن جميع الكتب

السابقة منسوخة بما له هيمنة عليها وهو القرآن ، قال الله :(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ) كل الكتب منسوخة بالقرآن ، فلا يُعمل بها شرعاً .

☜ والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

أولاً: أن نؤمن بأن الله تعالى أنزل على الرسل كتباً، وأنها من عند الله ولكن لا نؤمن بأن الكتب الموجودة في أيدي هذه الأمم هي الكتب التي من عند الله لأنها محرّفة ومبدلة، لكن أصل الكتاب المنزل على الرسول نؤمن بأنه حق من عند الله.

ثانياً: أن نؤمن بصحة ما فيها من أخبار كأخبار القرآن وأخبار ما لم يبدل أو يحرّف من الكتب السابقة.

ثالثاً : أن نؤمن بما فيها من أحكام إذا لم تخالف الشريعة على القول بأن شرع من قبلنا شرع لنا – وهو ا لحق – إذا لم يرد شرعنا بخلافه.

رابعاً : أن نؤمن بما علمنا من أسمائها، مثل: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وصحف موسى.

فلو قال رجل: أنا لا أومن بأن هناك كتاباً يسمى التوراة، فإنه كافر، لأن الإيمان بالله يتضمن الإيمان بالكتب.

المرجع: شرح الأربعين النووية ابن عثيمين رحمه الله بتصرف